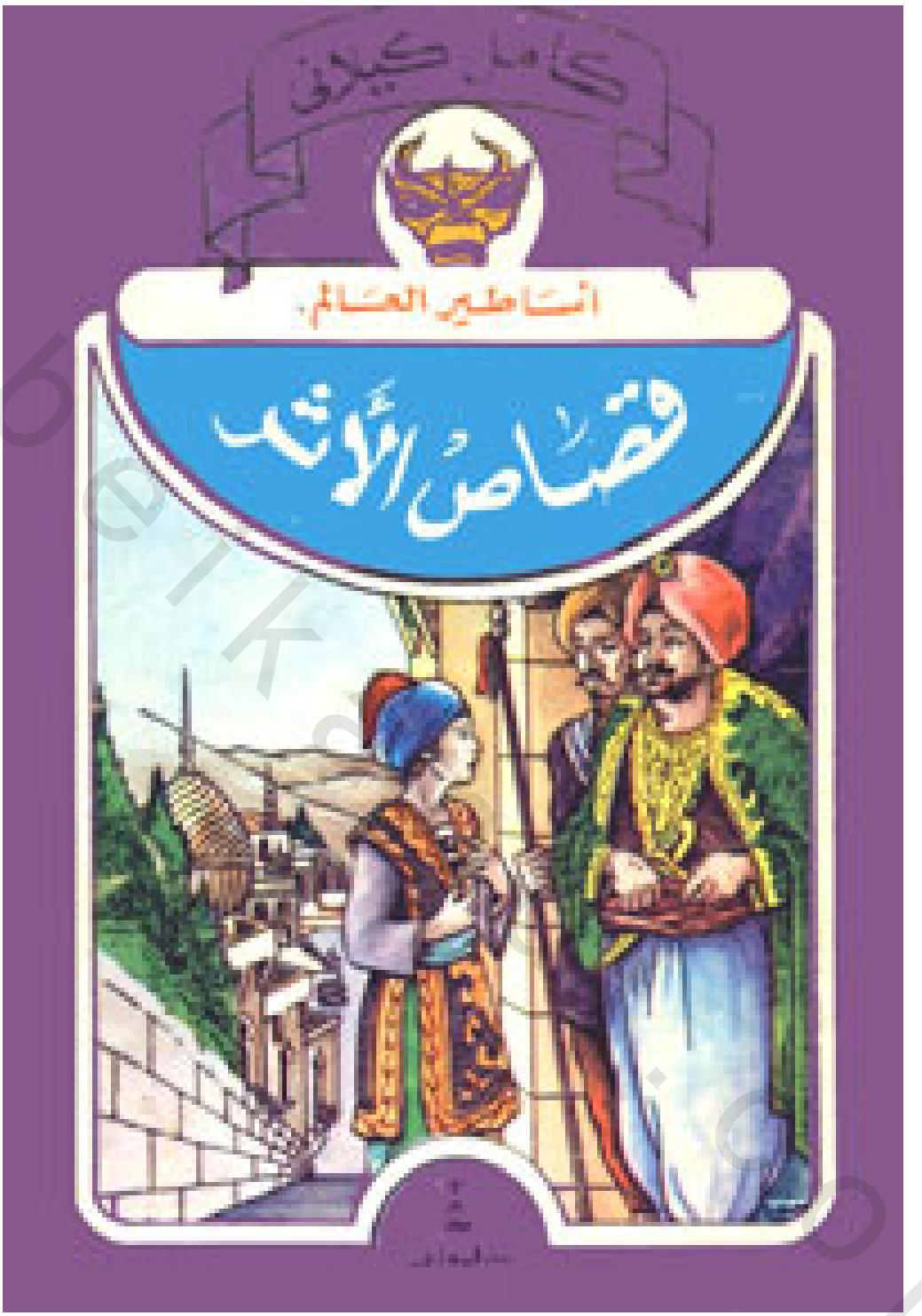
كامل كيلاني
أساطير العالم
قصاص الأثر

كامل كيلاني

أساطير العالم

قصاص الأثر

الطبعة الثانية عشرة

دار المعارف

obeikandl.com

رقم الإيداع	١٩٩٣/٢٨٢٨
الترقيم الدولي ISBN	٩٧٧-٠٢-٣٩٩٣-٣

١٢٦ -٩٢-١

طبع بمطابع دار المعارف" ج. م.ع."

لناشر :دار المعارف- ١١١٩ كورنيش النيل- القاهرة ج.م. ع.

obeikandl.com

الفصل الأول

obeikandl.com

١- ساكنة الكهف

كانت "السعلاة" (أنثي الغول) تعيش في بعض الأزمان السالفة علي بعد عشرين ميلا- أو تزيد- من مدينة "بنارس": إحدى مدائن الهند المشهورة.

وكانت هذه "السعلاة" قد اتخذت مأواها "مسكنها" في أحد الكهوف "البيوت المنقورة في الجبال". وعاشت "السعلاة" في مغارتها المظلمة الواسعة عيشة راضية " سعيدة". وقد خلقها الله- سبحانه- لتكون أية من آيات العجائب؛ فجعل لها وجه فرس، وجسم فتاة، ووهب لها القوة والبأس والشجاعة، فأصبحت تصارح النمرة فتصرعها، وتحارب الجيش فتقهره" تغلبه" بمفردها، وتهزم أبطاله وحدها.

وكانت هذا "السعلاة" القوية الباطشة الغلابة، تعيش علي ما تفترسه من الدواب والآدميين الذين يوقعهم في قبضتها سوء الحظ، ويرميهم فيأسرها نكد الطالع " سوء البخت، والطالع هو ما يتفاءل- أو ما يتشاءم- به بعض الناس؛ من النجوم".

وكانت تتربص الدوائر بعابري السبيل "تترصد للسائرين"، وتقطع الطريق علي الذاهبين والعائدين، وتكمن لهم في جنبات الطريق، أو تختبئ بين أشجار الغابة الضخمة، ثم تنقض عليهم فتفترسهم وتعيش علي لحمهم أياما، حتى إذا نفذ زادها " فرغ طعامها"، بحثت عن فرائس جديدو آخري.

٢- الدرويش الهندي

وفي ذات يوم وقع- في قبضة هذه "السعلاة" -فتي من دراويش الهند. وكان هذا الفتي قد خرج- لسوء حظه- وحيدا، وسلك تلك الطريق إلي مدينة "بنارس"، وهو يجهل آن "السعلاة" كامنة له فيها.

ولم تكد "السعلاة" تراه حتى أمسكت به وحملته، ثم أخذت نعدو- في سرعة لا يتصورها العقل- حتى إذا بلغت كهفها المظلم الرحيب "الواسع"، أودعت الدرويش "وضعته" فيه، لتأكله متى جاعت.

وكان ذلك الدرويش في مقتبل شبابه، وهو يجمع- إلي جمال الخلق- حسن الخلق. وقد أعجبت"السعلاة" بأدبه، وحسن حديثه، وبراعة منطقه، فسألته قائلة:

" افترضي- لو أبقيت علي حياتك- بالزواج بي، أيها الفتي الدرويش؟"

ولم يكن للدرويش بد من تلبية هذا الاقتراح، ليأمن علي نفسه الهلاك.

وقد رأي – بعد أن أطال التأمل، وأنعم "دقق" النظر – أن يختار لنفسه أهون الشرين، ويرضي باحتمال أخف الضررين.

وهكذا تم زواجه ب "السعلاة"، واشتري حياته بهذا الثمن.

٣- بعد الزواج

ومرت الأيام- علي ذلك الزواج- وتخلقت "السعلاة" الشرسة، بأخلاق زوجها الوديعة الدمثة"اللينة"، وأصبحت – علي مر الزمن- أنيسة لطيفة، وكفت "امتنعت " عن افتراس الناس، وعافت نفسها لحومهم" كرهتها"، وتغيرت عاداتها كلها- شيئا فشيئا – فأصبحت مثال الوداعة والوفاء، بعد أن كانت مثال الشراسة والغدر.

٤- حذر "السعلاة"

ولكن "السعلاة"- علي ذلك- لم تكن مطمئنة إلي ثبات زوجها علي عهده، وبقائه علي الوفاء لها، بل كانت- علي العكس من ذلك- واثقة من تبرمه " ضجره وضيق صدره" بهذا الأسر، متثبتة من تطلعه إلي الفكاك منه، وشغفه بالحرية، وتحينه "تراقبه" كل فرصة تمكنه من الخلاص، وتتيح له الفرار" تيسر له الهرب" ما استطاع إلي ذلك سبيلا.

ومن ثم كانت "السعلاة" شديدة الحذر. دائبة الخوف، تتوقع فراره- يوما بعد يوم- وترقبه بين ساعة وآخري، حتى لا يتحين منها غفلة، فيرجع إلي بلده أمنا مسرورا. وكانت –لذلك – تسد مدخل الكهف بصخرة كبيرة كلما خرجت منه، حتى إذا أحضرت ما يكفيها ويكفيه من الزاد، فتحت الكهف، واطمأنت إلي بقاء زوجها بجانبها.

وهكذا أصبح الدرويش التاعس أشبه بالعبد الرقيق" المملوك" الذي كتب عليه أن يقضي بقية عمره في سجن لا فكاك له من أسره، ولا مطمح "لا مطمع ولا آمل" له في الخلاص منه.

٥- المولود الجديد.

وكانت "السعلاة" تقضي نهارها متربصة بالقوافل "الجماعات المسافرة"، الذاهبة والأيبة " الراجعة " حتى أذا وقعت إحداها في قبضتها، أخذت منها كل ما تريده من الزاد- طواعية أو كرها- دون أن تمس أحدا منهم بسوء. ثم تعود إلي زوجها بكل ما جمعته من لذائذ الأطعمة، وأطايب الفاكهة.

وانقضت –علي ذلك– شهور عدة، ثم وضعت "السعلاة" طفلا جميلا الشكل، بهي الطلعة، تلوح في نظراته–من الشجاعة– دلائل وعلامات، يبدو علي أساريره "خطوط جبينه"– من الذكاء– مخايل "أمارات". ومرت السنون متعاقبة، فكبر الطفل وأصبحت المخايل– التي كانت تلوح علي وجهه– شمائل "صفات" في نفسه. واكتملت مواهبه "تمت مزاياه التي وهبها الله له"، واشتد ساعده، وأصبح –علي مر الأيام– مثالا للشجاعة والقوة والنشاط، برغم نشأته في ذلك السجن المظلم. وقد فرحت "السعلاة" بولدها، وأحبته حبا شديدا، وضاعفت عنايتها بأبيه الدرويش، ولم تدخر وسعا في توفير أسباب السعادة لكليهما معا.

٦– حوار الوالد وولده

ولم ينس الدرويش وطنه– طوال هذا الزمن الذي قضاه في الكهف– وكان بتطلع دائما إلي الحرية، فما زال يفكر فيها، ويتحسر علي فقدانها، حتى كاد الهم يقتله، لولا أمل أتاحه ولده، فانتعش قلب الدرويش، وعاوده الرجاء بعد اليأس، وأدرك أن ظفره بالحرية قريب وأن خلاصه من الأسر وشيك "سريع".

فقد قال له ولده ذات يوم:

"خبرني –يا أبتاه– لماذا اختلف وجهانا عن وجه أمي؟!"

فأجابه الدرويش قائلا:

"إنما اختلف وجهانا عن وجه أمك، لأننا آدميان،أما أمك فهي "السعلاة" من الغيلان".

٧– صخرة الكهف

فقال الغلام لأبيه:

" فما بالنا "ما شأننا " نعيش مع هذه الغول في مثل هذا الكهف المظلم، وما بالنا لا نخرج منه لنعيش بين رفاقنا وأبناء جنسنا من الآدميين؟"

فأجابه الدرويش: "إنما اضطررنا إلي ذلك اضطرارا، فقد سجنتنا أمك "السعلاة" في هذا الكهف، وسدت منفذه بهذه الصخرة الهائلة التي لا يقدر علي تحريكها أحد، ولولا ذلك لتم لي الفرار– من هذا السجن البغيض– منذ زمن بعيد "

فعجب الغلام مما سمع، وأسرع إلي الصخرة، ودفعها بيده دفعة قوية، فتدحرجت– علي الفور– وانفتح الكهف بعد أن كان مغلقا.

٨- في الهواء الطلق

وكانت مفاجأة سارة مدهشة، ولكن الدرويش لم يكد يخرج من الكهف المظلم حتى بهر عينيه الضوء "غلبهما النور"، فكاد يذهب بنورهما. واختلج بصر الدرويش، وأصبح شبه أعمي؛ فأغمض عينيه طويلا، ثم فتحهما- بعد أن عصب رأسه- ثم رفع الغطاء عن عينيه قليلا، حتى ألفت عيناه الضوء بعد جهد جهيد " بعد تعب شديد".

وقد حمله الصبي، وانطلق بعدو به في سرعة نادرة، حتى جهده السير " أتعبه المشي"، وأضعف قواه. فجلس مع أبيه ليستريح من عنائه، ويجدد من قوته ما يمكنه من استئناف السير.

٩- مقدم "السعلاة"

وإنهما لجالسان، إذ طرق أسماعهما صوت أقدام "السعلاة"، وهي تنهب الأرض نهبا، وتطوي الطريق طيا، في اقتفاء أثرهما " السير في طريقهما ". ولم تكد تراهما حتى صاحت فيهما مغضبة:

" الويل لك أيها الزوج الجاحد! والويل لك أيها الطفل العاق! أكذلكما تجزياننني- علي صنيعي " معروفي"- أقبح الجزاء؟

خبراني: ما الذي حبب إليكما الهرب، وأغراكما بالفرار؟ ألم أتخذ لكما فراشا وثيرا "لينا" من ورق الشجر والطحلب "الخضرة التي تنبت علي وجه الماء"؟ ماذا أعوزكما " احتجتما إليه" من طعام أو شراب؟ الم احضر لكما أشهي ما يشتهيه إنسان من أطايب الثمار ولذائذ الفاكهة؟"

فقال لها الغلام:

" قد صدقت – يا آماه- في كل ما نطقت به، ولكنك حرمتنا شيئا لا تطيب الحياة إلا به، فحجبت عنا ضوء الشمس، وسلبتنا نعمة الحرية، فلم ننعم بالهواء الطلق والنور البهيج، وهما – فيما نري- أحب إلينا من ألطعام والشراب.."

قالت "السعلاة": " ارجعا إلي أمنين، فقد منحتكما ما تطلبان، ولن أضنن " لن أبخل" عليكما بشيء مما تحبانّ "

فاضطرا إلي العودة – مع "السعلاة"- مرغمين. وقد برت "السعلاة" بوعدها، فحطمت الصخرة التي كانت تسد بها منفذ الكهف، وأذنت لهما في أن يجوسا " يمشيا " خلال الغابة وفق ما يحبان، علي أن يكفا- بعد هذا اليوم- عن التفكير في الهرب.

وهكذا أطلقت لهما حرية السير، وظلت ترقبهما دون أن تشعرهما بذلك. فكانا لا يجتازان في تجوالهما " سيرهما" أكثر من ميل بعيد عن الكهف، حتى يسمعا وقع أقدام "السعلاة" وهي قادمة في أثرهما "خلفهما".

١٠- في ظلام الليل

وقد عرف الغلام أن سلطان أمه ونفوذها لا يمتدان إلي أكثر من فرسخين ينتهيان بالنهر، وثلاثة فراسخ تنتهي بالجبل من الجهة الأخرى.وظل يعد عدته للهرب، حتى إذا رأي الفرصة سانحة لتحقيق إربته، وإنقاذ رغبته، صبر علي "السعلاة" حتى إذا استغرقت في النوم، خرج الغلام مع أبيه في ظلام الليل- من الكهف- زاحفين. وظلا يجدان السير حتي اقتربا من النهر، وحينئذ سمعا صوت أقدام "السعلاة"، وهي تطوي الأرض طيا، وتنهب الطريق نهبا؛ فلم يثن من عزم الغلام " لم يرده عن إرادته "، بل ضاعف من همته، وشحذ "قوي" من عزيمته، فحمل أباه علي ظهره، وظل يعدو " يجري" به مسرعا حتى بلغ النهر، فسبح فيه حتى توسطه، وأصبح بمأمن من بطش "السعلاة". ولم تكد أمه تري ذلك حتى استولي عليها الجزع، فصاحت مولولة:

فقال لها الغلام: " كلا – يا أماه – لا سبيل إلي ذلك، فنحن من أبناء أدم، وأنت من بنات السعال، وما أجدرنا نحن أن نعيش بين أبناء جنسنا وادعين " مرتاحين"."

١١- الطلسم

فوقفت "السعلاة" علي شاطئ النهر محزونة باكية، وركعت أمامهما متوسلة ضارعة، وظلت تسح دموعها " تسكبها وتصبها صبا متتابعا" علي صفحة المياه الجارية، فلم تجد ضراعتها وبكاؤها، وظل ولدها سابحا حتى بلغ الشاطئ الأخر، فيئست من عودتهما أو اللحاق بهما، ورأت أن البكاء والجزع لن ينفعها، فصاحت في ولدها قائلة:

" إن حبيك " حبي إياك"، وإخلاصي لك، وشفقتي عليك، لتأبي علي أن أخذك بإساءتك، أو تفارقني من غير أن أهدي إليك هدية تنفعك في قابل أيامك. فخذ معك هخذا الطلسم " الشيء الخفي" العجيب، فإنه سيكون أنفع شيء لك في دنيا الأناسي " بني أدم " التي أعتزمت أن تعيش فيها مع أبيك ".

ثم قذفت إليه بالطلسم قائلة: " إليك – يا ولدي – هذا الحجر، فخذه ثم علقه في عنقك تميمة " حافظا يصونك "، فإنك – بقوة سحره – قادر علي اقتفاء كل أثر، ولن تضل في تعرفه،

واو مضي عليه اثنا عشر عاما كاملة، وستوفق إلي تتبع أثار الأقدام مهما تكن قد عفت " ذهبت أثرها " وضاعت معالمها، واستحال علي غيرك أن يهتدي إليها ".

فشكر لها ولدها ذلك الصنيع، ولقف منها الطلسم، ثم علقه تميمة في عنقه، واحتفظ بهذه الذخيرة النفيسة. وسار مع أبيه في طريقهما إلي " بنارس" بعد أن ودعا تلك الكريمة الوداع الأخير.

obeikandl.com

الفصل الثاني

obeikandl.com

١- في قصر الملك

ابتهج الدرويش وولده بما ظفرا به من نعمة الحرية، وزاد ابتهاجهما تلك الهدية النفيسة التي أهدتها إليهما. وما زالا يجدان السير حتى بلغا المدينة. وكان أول خاطر مر بذهن الغلام هو أن يذهب إلي ملك " بنارس" ليحرس كنوزه ونفائسه من عدوان اللصوص، بعد أن ظفر بالطلسم العجيب.

وقد أسرع إلي القصر الملكي، وقابل الملك، وأفضي إليه برغبته، واستعداده لحراسة الكنوز الملكية من كل عاد " معتد"، لأنه خبير باقتصاص الأثر " تتبعه" خبرة نادرة لا يشركه فيها أحد من الناس.

فقال الوزير: " أصادق أنت فيما تقول؟".

فأجابه الغلام: " إي وربي، إنه لحق لا ريب فيه، وستثبت لك الأيام أنني قادر علي اقتفاء أثر اللصوص وتعرف أماكنهم، والاهتداء إلي مخابئهم وأوكارهم " مساكنهم "، مهما تفننوا في أخفاء أثارهم وتضليل الباحثين عنهم. فهل تتفضل- يا سيدي – فترفع أمري إلي جلالة الملك لعله يأذن لي في خدمته؟"

obeikandl.com

MORELLI

٢- أجر القصاص

فقال لـه الـوزير: " مـا أري جلالـة الملـك مرحبـا بخـدمتك إيـاه ليـأمن علـي كنـوزه عاديـة اللصوص " شرهم"."

ثم ذهب الوزير إلي ملك " بنارس" فأخبره بنبأ القصاص. ولا تسل عن فرح الملك بهذا الخبر، وابتهاجه لسماعه؛ لأنه كان مشهورا بالغني والبخل معا، ولم يكن ينغص عليه راحة باله، ويكدر صفو حياته، ويقلق نومه، إلا خوفه علي كنوزه ونفائسه التي لا تقوم " لا تقدر" بمال. وكان يسهر ليله ويظل نهاره في حراستها حتى لا تمتد إليها أيدي اللصوص. فلا عجب إذا رأي في ذلك القصاص ضالته التي ينشدها " حاجته التي يطلبها" وأمنيته التي يتمناها.

وقال الملك لوزيره: " عد إليه فاسأله: كم يريد أجرا علي ذلك؟"

فقال له الوزير: " لم يفتني ذلك، فقد سألته: كم يريد أجرا علي حراسة الكنوز؟ فقال لي: إنه يطلب مائة دينار يوميا."

فاستكثر الملك هذا الأجر ،واستدعي إليه الغلام ليساومه. فلما رأي إصراره علي ذلك، لم بدا من إجابته إلي ما طلب ليريح باله من حراسة نفائسه وكنوزه الثمينة.

٣- حوار الملك والوزير

ومر علي ذلك شهور عدة، وذاعت شهرة القصاص في جميع أرجاء المملكة؛ وعرف اللصوص قدرته وبراعته في اقتفاء الآثار، فكفوا عن كل محاولة لسرقة الكنوز، ولم يجرؤ أحد منهم 'لي الدنو " الاقتراب" من مكانها.

أما ملك " بنارس" فلم يكن مرتاحا غلي الأجر الفادح " الكبير المثقل" الذي يتقاضاه " يأخذه" القصاص، فدعا وزيره إليه- ذات يوم- وقال له: " أني لنا أن نثق بحديث هذا القصاص عن نفسه؟ وكيف نتعرف صدقه من كذبه؟ ومن يدرينا أنه بارع في اقتفاء آثار اللصوص كما يدع؟ وما بالنا " نعطيه"- كل يوم – مائة دينار ،وهو لا يعمل شيئا يسوغ به هذا الأجر الفادح الذي يتقاضاه منا " يعني أنه لم يصنع شيئا- في مقابلة ما يأخذه من المال الكثير- يجعله جديرا به مستحقا له "؟ ألا تراه يقضي يومه كله لاهيا بالشطرنج مع أبيه في حديقة القصر أمام النافورة " الفسقية التي يخرج الماء منها"، وهما يشربان أفخر الأشربة، ويطعمان أشهي الأطعمة " يأكلان ألذ المآكل" ويلبسان أثمن الثياب، ثم لا يعملان – بعد ذلك- شيئا؟ألا تري أن هذا الغلام قد خدعني، وسخر من بلاهتي " ضعف عقلي"؟.

فقال له الوزير: " لن يعدو آمره أحد احتمالين: فهو إما صادق في دعواه أو كاذب، فإذا كانت الأولي فإن بقاءه لحراسة الكنز ضروري، وليس لنا عنه غني؛ وإن كانت الثانية، فهو جدير بالهلاك جزاء خديعته ومكره."

فقال له الملك: " أليس يجدر بنا أن نبلو أمره " نمتحن حقيقته " ونخبر قوته التعرف قدرته من عجزه؟".

فقال له الوزير: " صدقت يا مولاي، ولبس الرأي إلا ما تراه!"

٤- السارقان

وفي الليلة التالية دبر الملك ووزيره خطة بارعة لسرقة الكنوز، فاقتحما مخابئها- في ظلام الليل- وأخذا منها جمهرة " طائفة" عظيمة من اللآلئ النادرة والنفائس الثمينة، ووضعاها في حقائب؛ ثم حملاها ودارا بها حول القصر مرات ثلاثا، ليضللا الباحثين عنها، ثم اجتاز بها حدائق القصر، وتسلقا حائطه وارتقيا " صعدا" سلما عاليا، ثم هبط من سلم أخر إلي أحد الحقول، حيث فتحا صهريجا " مخزن الماء" لا يعرفه أحد غيرهما، وأسقطا الحقائب كلها فيه، ثم عاد أدراجهما إلي القصر، وقد أيقنا أن أبرع قصاصي الأثر لن يهدي إلي ذلك المخبأ الأمين القصي " البعيد".

٥- بين يدي الملك

وفي اليوم التالي نهض الملك باكرا، وتظاهر بالغضب لاجتراء اللصوص "إقدامهم وهجومهم" علي كنوزه الثمينة، وصاح صيحات مفزعو عالية، وهو يقول متوعدا ثائرا:

" لقد سرق اللصوص الخبثاء جمهرة من أنفس الحلي واليواقيت التي يزدان " يتزين ويتجمل " بها تاجي، ولست أدري: كيف استباحوا داري، وانتهكوا حماي " كيف اقتحموا بيتي الذي أحميه"؟ وما عرف: أين كان حارس الكنوز الذي يتقاضي – علي حراستها –أجرا فادحا كل يوم؟"

MORELL

وما إن أتم ملك " بنارس" قوله، حتى مثل الفتي " وقف" بين يديه، وكان قد علم هذا النبأ الهائل " الخبر المفزع"، وتألم لسرقة هذه النفائس، فأسرع إلي القصر، ثم قال له علي الفور:

" هاأنذا طوع يديك ورهن إشارتك، وقد جئت إليك مستأذنا في اقتفاء اثر اللصوص " تتبع خطواتهم"."

فقال له الملك:" إنما ادخرتك " احتفظت بك" لمثل هذا اليوم، فاذهب موفقا محمودا."

٦- نجاح القصاص

وعاد قصاص الأثر وعاد قصاص الأثر إلي مستودع الكنوز الملكية، مقتفيا آثار اللصين، ثم دار حول القصر- كما دارا- مرات ثلاثا، ثم اجتاز الحدائق، وارتقي درجات السلم الأول، وهبط درجات السلم الثاني، ثم سار ميمما " قاصدا" الصهريج في وسط الحقل، الذي ألقي فيه اللصان ما سرقاه من النفائس، ثم آمر باستدعاء غواص ماهر لينزل إلي قاع الصهريج، ويحضر ما ألقي فيه من الحقائب!

وكان الملك وحاشيته " المقربون منه" وخاصة قومه يرقبون ذلك القصاص البارع، والدهش مستول عليهم، والحيرة بالغة منهم كل مبلغ.

وقد أدرك القصاص الذكي حقيقة السارقين، فالتفت إلي الملك قائلا: " لقد اهتديت إلي مخبأ النفائس المسروقة،وعرفت مكانه من هذا الصهريج. ولست أجهل أن سارقي الكنز رجلان جليلان رفيعا المنصب " المقام والعمل "، عظيما الخطر " القدر الشأن ".

وما أنتهي القصاص من كلامه، حتى خرج الغواص من الصهريج حاملا الحقائب المسروقة، واحدة في إثر الأخرى.

فدهش الحاضرون، وتملكهم العجب والسرور، فصفقوا مبتهجين، وحنوا رؤوسهم أمام القصاص معجبين.

غضب الملك

ولا تسل عن غضب الملك وألمه، حين رأي نجاح في تعرف هذا المخبأ القصي "البعيد"، واهتدائه إلي النفائس المسروقة؛ واشتد به الغيظ لإخفاقه " خيبته" في خداع الفتي الذكي الذي أحبط " أفسد" مؤامرته، وفضح أمرها، وكشف الستار عن دسيسته المستورة.

وقد أخرجه الغيظ والغضب عن طوره " حده اللائق به"، وأنسياه الحزم والكياسة، وأبيا عليه أن يقف عند هذا الحد من الهزيمة المخزية؟، فهمس في أذن وزيره قائلا:

" لا أزال أستكثر عليه الأجر الذي يتقاضاه مني– كل يوم– ولابد لنا من تعجيزه وإرهاقه " تكليفه ما لا يطيق"، واختبار مدي قوته في تعرف اللصين؛ فقد وقفت براعته وحذقه – فيما أري – عند الاهتداء إلي مخبأ النفائس المسروقة. وما أظنه – بالغا ما بلغ من الفطنة والذكاء– قادرا علي تعرف السارقين".

فقال له وزيره الأحمق: " ليس الرأي إلا ما يراه مولاي."

فالتفت ملك " بنارس" إلي قصاص الأثر، وقال أودع فيه اللصوص ما سرقوه من نفائس،ولم يبق عليك إلا أن تتعقب اللصوص، وتذكر لنا أسماءهم لنؤمن بحذقك وجدارتك " مقدرتك".

فقال له القصاص الحازم الذكي " كلا، فما بنا من حاجة إلي ذكر أسماء اللصوص، وليس لهذا أقل خطر " لا قيمة له"، وحسينا أن نهتدي إلي ما ضاع من الكنز، وأن نتعرف ما سرق، لا من سرق!"

٨– إصرار الملك

فظن الملك أن قصاص الأثر عاجز عن تعرف السارقين. ولم يكن القصاص جاهلا الأمر، ولكن إخلاصه وحبه مليكه قد منعاه أن يفضي بسر اللصين علي ملإ "جمع" من الرعية والخاصة وأعيان الحاشية. فقد أدرك القصاص الخطر الذي يهدد ملك " بنارس" ووزيره، إذا افتضح أمرهما، وعرفت الرعية أنهما مثلا دور السارقين.

ولكن ملك "بنارس" لم يقدر للفتي " لم يشكر له" هذا الإخلاص، ولم يتبصر عاقبة أمره، وأبي إلا أن يصر علي تحقيق طلبته، فقال للقصاص غاضبا:

" لن أثق بمقدرتك، ولن أومن بجدارتك " كفايتك" – بعد الآن – ولن أمنحك ما تتقاضاه مني كل يوم من أجر كبير، إذا عجزت عن تعرف اللصوص، وأخفقت في الاهتداء إلي أماكنهم.

وأني لأقسم بتاجي وسيفي هذين لانتقمن من أولئك اللصوص الأنذال، ولأمثلن بهم أقبح تمثيل " لأعذبنهم أشد عذاب"، ولأجعلنهم عبرة لكل من تسول له نفسه " تزين وتيسر له" سرقة هذه الكنوز "

فأدرك القصاص الذكي– حينئذ– أم نلك " بنارس" قد أخرجه الغيظ والحقد عن جادة الحزم " طريقه" وطوح به الكيد إلي هاوية الشقاء؛فقال له – ليغريه بتوكيد قسمه مرة أخري – أمام حاشيته وخاصته: " احترس يا مليكي، وتدبر ما تقول، ثم خبرني في صراحة" ألا تزال مصرا علي تعرف السارقين والتنكيل بهم "إيذائهم"؟".

فقال له الملك:" أقسم بشرفي لأنكلن بهم تنكيلا، ولأعذبنهم عذابا لا أعذبه أحدا."

فقال القصاص بصوت جهوري " عال": إذا كان رب الرعية وحارسها وحاميها، وملاذ الشعب " ملجوء" ومناط رجائه " من يتعلق رجاؤه وأمله به ". وموضع ثقته، يخزن الأمانة ويغدر بالمخلصين، ويكذب الناس، ويمثل معهم دور السارق، فخبرني: كيف يفعل الشعب؟ وأي جرم تقترفه الرعية " ترتكبه" بعد ذلك؟"

٩– افتضاح السر

فضحك الملك ساخرا مما سمع، ولم تكفه هذه الإشارة الواضحة التي لا تحتمل تأويلا، وأبت عليه حماقته إلا أن يندفع في تيار الغضب والكيد، دون أن يقدر العواقب الوخيمة " من غير أن يعرف النتائج السيئة ويتدبرها". وطوح به الغرور فلم يعبأ بتحذير القصاص، وقال له – في إصرار وعناد– بصوت جهوري:

" إن الشعب جدير أن يعاقب المجرم أيا كان منصبه وخطره "مهما علا مقامه"، دون أن تأخذه في الحق شفاعة شفيع ولا لومة لائم."

فقال له القصاص، وقد يئس من إصلاحه، وتقويم اعوجاجه:

" أظنني قد أديت واجبي ولم يبق علي أقل لوم إذا أفضيت بأسماء اللصوص بعد ذلك!"

فقال له الملك:" ما أجدرك بذلك– أيها الفتي – حتى أقتنع بكفايتك، وأثق بجدارتك؛ ولئن لم تفعل، لأخفضن أجرك إلي عشرة دنانير."

فقال له القصاص في صوت جهوري واضح النبرات:

" لم يسرق هذه الحلي إلا أنت ووزيرك، وهذه أثر أقدامكما ناطقة بذلك، شاهدة عليكما تقول؟"

١٠- غضب الشعب

فبهت ملك "بنارس" ووزيره، وكادا يصعقان " كاد يذهب عقلهما" من هول المفاجأة وندم الملك علي إصراره وعناده وتهوره " اندفاعه". وغضب الخاصة وسواد الشعب، وثار ثائر هم حين ظهرت لهم جلية الأمر " حقيقته".

وعز عليهم أن يكون راعيهم وحامي ذمارهم " حارس بلادهم وأهليهم وديارهم" مدلسا " خائنا"؛ وأن يمثل – هو ووزيره- هذا الدور الخسيس، ليخفض اجر القصاص، ويحرمه حقه الذي عاهده علي أدائه إليه.

***

واجتمع مجلس الأمة ورجال الشورى وأعيان المدينة، وقر قرارهم علي عزله وعزل وزيره معه، كما اجتمع رأيهم علي تولية هذا الفتي الشريف علي العرش، واحتفوا " احتفلوا" بتتويجه أعظم احتفاء.

***

وهكذا كوفئ قصاص الأثر أثمن مكافأة علي براعته وصدقه وبعد نظره، وعاش مع أبيه الدرويش – دهرا طويلا- في صفاء وابتهاج.

obeikandl.com

مكتبة الكيلاني [1]

الى حضرة الاستاذ كامل كيلاني المحترم

سيدي

لقد امتلأ قلبي سرورًا حين قرأت في هذه الاعوام الاخيرة جمهرة كبيرة من كتبك التي انشأت بها مكتبة الاطفال.

ولئن صح يقيني لتكونن نسيج وحدك في عالم التأليف للاطفال في البلاد العربية قاطبة. فلست اعرف لك ضريبًا في هذا المضمار في اي بلد يطق اهله بالضاد. فإن كتبك قد جمعت الى براعة التسلية حسن الاسلوب. ووفرة المعلومات معًا. ولست ارى لها مثيلًا الا تلك الكتب التي تدرس في مدارس اوربا الى جانب الكتب المدرسية لتثير في انفس الاطفال والشباب حب الاطلاع وحب التسلية كما تثير فيها - الى جانب ذلك - حب التفكير وتمهّد لها طرائقه.

وعندي ان كتبك قد سدّت هذا الفراغ في عالم «البيداجوجيا» في الشرق بطريقة مُثلى. فان جاذبية هذه القصص لا تبلى جدّتها. فهي حافظة ابدًا لروعتها وسحرها. وكل ما فيها يدل على سلامة الذوق. فانها تمتاز في موضوعها بحسن الاختيار وفي اسلوبها بالمتانة والدقة وفي لغتها بالسهولة. وان صوغ عباراتها وانتقاء مفرداتها ليُنمّان عن ذوق عربي اصيل

(١) رأى المستشرق الكبير الدكتور كارلو نللينو، المصور السابق بمجمع فؤاد الأول للغة العربية.

مكتمل النضوج يشعّ فيها جميعًا. ولست استثني من ذلك تلك القصص التي قبستها من الآداب الاوروبية فان تجويد اسلوبها وتخيّر الفاظها وطابعها العربي الصميم كل ذلك لا يدع مجالًا للشك في ان هذه القصص هي - بانشائها - عربية باصل وضعها حتمًا.

واني لأحبّذ اوفى تحبيذ تلك العناية التي تبذلها في انتقاء الموضوعات اولًا والاساليب ثانيًا واحجام الحروف ثالثًا وترتيب ذلك ترتيبًا يتمشى بنجاح تام من الاطفال الى الشباب وفق تدرّجهم في اسنانهم ومداركهم. كما يسرّني ان انوّه بالرشاقة والوضوح اللذيْن يتجلّيان في فن تلك الصور المبدَعة التي ازدانت بها هذه الكتب.

وبعد فاني اهنئك - مخلصًا في تهنئتي - بهذا الاثر الجدير بالثناء. كما اتمنى من صميم قلبي ان تعمّ هذه الكتب الاقطار العربية كلها.

فما اجدرها ان يقرأها كل طفل وان يستفيد منها كل فتى وفتاة وتدرسها كل مدرسة ومعهد. وأُخلِقْ بها ان تكون خير مرشد للاجانب الذين يدرسون العربية ويرغبون في الوصول الى غايتهم من اقرب طريق واهدى اسلوب.

وتفضل يا سيدي كيلاني بقبول اوفى تحيتي وتقديري

Carlo A. Nallino

الفهرس

الفصل الأول ٤

الفصل الثاني ١١

obeikandl.com